

الباب الثالث

الفصل التاسع

الأشوريون

## المبحث الاول : الاشوريون وبلادهم

ينسب الاشوريون الى اسم اول مراكزهم الحضرية «آشور» الذي اصبح فيما بعد عاصمة لدولتهم وتقع بقرايامدينة آشور قبالة قلعة الشرقا ط في الطريق القديم الذي يربط بين الموصل وبغداد . وقد اطلق اسم آشور على الاله القومي للاشوريين ايضا . ولا يعرف على وجه التأكيد ايهما كان اصل للآخر ، اسم المدينة او اسم الاله (١) وجاء اسم آشور في المصادر الآرامية والعربية على هيئة «اقور» او «آثور» وانخدته بعض الاقوام القاطنة في بعض اجزاء القسم الشمالي من العرلم ، غير ان مصطلح «آثور» بمفهومه الحديث لا يرتبط بالاشوريين المعروفين في التاريخ الا من حيث الاسم

ولم يكن اسم آشور معروفا في القسم الشمالي من العراق قبل الالف الثالث قبل الميلاد ، بل كان يطلق على السكان القاطنين في المنطقة اسم «سوباريين» بينما اطلق على البلاد اسم بلاد «سوبارتو» او «شوبارتو» وعند مجسيي الاشوريين الى المنطقة ، غلب اسم الاشوريين وببلاد آشور وانصهر السوباريين مع الاشوريين بينما نزع البعض منهم الى المناطق الجبلية .

(١) وردت كلمة آشور في النصوص المسارية مكتوبة بهيئات - اسر (A - Usar ) والتي تبدو وكأنها كتابة سومرية رمزية . غير ان الكتابة المألوفة الاخرى جاءت على هيئة آ - شر (A - Shur ) تتبعها العلامة الدالة على المدن (Ki) . وترقي اقدم اشاره الى هذه التسمية الى القرن السابع عشر الميلاد من مدينة نوزي . وفي المهد الاشوري الحديثة غلب استعمال التسمية بتضمين حرف الشين فاصبح الاسم يكتب على هيئة آش - شر (Ash - Shur ) تتبعه العلامة الدالة الخاصة بالبلدان والاقاليم (Mat) وعند الاشاره الى الشخص الاشوري غالبا ما تضاف ياه نسبة المضاهيه ياه نسبة العربية الى نهاية الاسم فيقال «آشور» اي آشوري (انظر حول تفصيلي لك طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (١٩٧٣) ج ١

## بلاد آشور :

تتمثل بلاد آشور جغرافياً بالجزء الشمالي الشرقي من العراق ويخذ دجلة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي . ومن الصعب وضع بلاد آشور نظراً للتغيرات المستمرة تبعاً للتغيير الظروف السياسية وقوه او ض الاشورية والدول والبلدان المجاورة . فيعتبر البعض خط العرض السار شمالاً حداً وهمياً للاراضي الواقعة ضمن بلاد آشور في الشمال بينما العظيم المحد الجنوبي لها . وبحد بلاد آشور من الشرق والشمال الش جبال بينما لا توجد حدود طبيعية من ناحية الغرب حيث تقع منطقة الج وامتدت وقعة الدولة الاشورية خلال العصور التاريخية المختلفة في القرن التاسع قبل الميلاد ، لتشمل معظم أنحاء الشرق الأدنى القدي ذلك بلاد بابل وسوريا والجزء الشمالي من مصر وبعض أجزاء آسيا الع عيلام ؛ بينما تقلصت الحدود في أحيان أخرى لتشمل بلاد آشور ال تميز بلاد آشور الأصلية بان معظم اراضيها متوجهة تجاهها الس وتتوفر فيها المياه حيث يخترقها الزابان الاعلى والاسفل اضافة الى ن تهطل فيها الامطار الموسمية بمعدل يساعد على نمو مختلف الغلال . في بلاد آشور بصورة عامة بخصوصيتها وقلة مشاكل اصلاحها فساعد ذلك الحياة الزراعية في المنطقة وكان له الاثر الكبير في نشوء أولى المستوطنات

## اصل الآشوريين :-

الاشوريون فرع من الاقوام العربية القديمة التي هاجرت من العربية متوجهة شمالاً إلى بلاد سوريا وفلسطين والعراق . ولا يعرف كانت هجرة هذه المجموعة من اقوام الجزيرة العربية والطريق ويظن أنها لم تتجه من شبه الجزيرة العربية إلى شمال العراق ماشر استقرت لبعض الوقت في بوادي الشام والعراق ثم نزحت إلى الم فيما بعد ببلاد آشور .

ومن الباحثين من يرى ان الآشوريين سلكوا طريقا آخر في هجرتهم الى شمال العراق وانهم استقروا في الجزء الجنوبي من العراق (بلاد بابل) ومنه هاجروا الى القسم الشمالي . وقد اعتمد اصحاب هذا الرأي على التشابه الكبير الموجود بين الحضارة البابلية والحضارة الآشورية لاسمها من حيث اللغة واسماء الاعلام والمعتقدات الدينية والنظم القانونية على اختلافها . غير ان حقيقة اصول الاقوام الأكادية والبابلية والاشورية المشتركة وانتسابها جميرا الى شبه الجزيرة العربية اضافة الى العلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية الوثيقة والمستمرة بين بلاد آشور وبلاد بابل خلال اكثير من الفين من السنين تفسر لنا هذا التشابه الحضاري .

### اللغة الآشورية : -

اللغة الآشورية هي اللهجة من اللهجات الأكادية الكثيرة التي انتشرت في العراق منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وحتى اواسط الالف الاول قبل الميلاد وقد دونت اللهجة الآشورية كبقية اللهجات الأكادية بالخط المسماوي . ويميز الباحثون ثلاث لهجات آشورية هي اللهجة الآشورية القديمة والوسطى والحديثة .

ولابد من الاشارة هنا إلى ان اللغة الآشورية في بعض قرى شمال العراق هي ليست من بقايا اللهجة الآشورية بل انها اللهجة سريانية محورة ومتفرعة اصلا من اللغة الارامية وان مافيها من تشابه مع اللهجة الآشورية هو كالتشابه الموجود بينها وبين اللغة العربية والعبرية وان السبب في هذا التشابه ناتج عن أن اصل جميع هذه اللهجات واللغات المشتركة وانتسابها يرجع إلى مجموعة لغوية واحدة كان مهدها الاول في شبه الجزيرة العربية ( ١ ) .

( ١ ) حول مجموعة اللغات العربية القديمة (السامية) وتقسيمها وتفرعها وميزاتها انظر / د . جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء السابع بيدناد ١٩٥٧ صفحه ٦ ، ٣٦ ،  
الشيخ نجيب وهبة من الساميين الى العرب بيروت ١٩٢٢ - تولد كل اللغات السامية  
مترجمة ( د . رمضان عبد التواب ) .

## الادوار التي مرت على بلاد آشور : -

مرت على بلاد آشور منذ اقدم العصور حتى نهاية الدولة الآشورية الحديثة عددة ادوار يمكن تقسيمها ، وتسهيلاً لاحث ، الى خمسة ادوار رئيسية هي : -

١ - عصور ما قبل التاريخ - وتشمل العصور التي مرت على بلاد آشور منذ اقدم الازمنه التي استوطن فيها الانسان المنطقة وحتى بداية العصور التاريخية في او اخر الالف الرابع قبل الميلاد .

٢ - عصر السومرية والاكدية : - ويشمل العصور المقابلة لعصور فجر السلالات والعصر الاكدي والکوتي وعصر سلالة اور الثالثة في الجنوب والتي كانت فيها بلا آشور خاضعة للنفوذ الحضاري والسياسي للدول الجنوب .

٣ - العصر الآشوري القديم : - ويبدأ من حوالي ٢٠٠٠ ق . م و حتى ١٥٠٠ ق . م اي انه يقابل تقويا العهد البابلي القديم .

٤ - العصر الآشوري الوسيط : - ويبدأ من ١٥٠٠ ق . م ويتهي بحدود ٩١١ ق . م . وهو تاريخ اعتلاء ادد - نرارى الثاني العرش الآشوري . ويقابل الجزء الاكبر منه عهد السلالة الكاشية في بلاد بابل .

٥ - العصر الآشوري الحديث : - ويبدأ من ٩١١ ق . م ويتهي بسقوط نينوى عاصمه الآشوريين عام ٦١٢ ق . م . على ايدى الاقوام الميدية والكلدانية ويشمل عهد الامراطوريتين الآشوريتين الاولى والثانية .

ومن الباحثين من يرى ان الآشوريين سلكوا طریقا آخر في هجرتهم الى شمال العراق وانهم استقروا في الجزء الجنوبي من العراق (بلاد بابل) ومنه هاجروا الى القسم الشمالي . وقد اعتمد اصحاب هذا الرأى على التشابه الكبير الموجود بين الحضارة البابلية والحضارة الآشورية لاسيما من حيث اللغة واسماء الاعلام والمعتقدات الدينية والنظم القانونية على اختلافها . غير ان حقيقة اصول الاقوام الأكادية والبابلية والاشورية المشتركة وانتسابها جمیعا الى شبه الجزيرة العربية اضافة الى العلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية الوثيقة والمستمرة بين بلاد آشور وبلاد بابل خلال اکثر من الفین من السنین تفسر لنا هذا التشابه الحضاري .

### اللغة الآشورية : -

اللغة الآشورية هي اللهجة من اللهجات الأكادية الكثيرة التي انتشرت في العراق منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وحتى اواسط الالف الاول قبل الميلاد وقد دونت اللهجة الآشورية كبقية اللهجات الأكادية بالخط المسماري . ويميز الباحثون ثلاثة لهجات آشورية هي اللهجة الآشورية القديمة والوسطية والحديثة .

ولابد من الاشارة هنا إلى ان اللغة الآشورية في بعض قرى شمال العراق هي ليست من بقايا اللهجة الآشورية بل انها اللهجة سريانية محورة ومتفرعة اصلا من اللغة الaramية وان مافيها من تشابه مع اللهجة الآشورية هو كالتشابه الموجود بينها وبين اللغة العربية والعبرية وان السبب في هذا التشابه ناتج عن أن اصل جميع هذه اللهجات واللغات المشترك وانتسابها يرجع الى مجموعة لغوية واحدة كان مهدها الاول في شبه الجزيرة العربية ( ۱ ) .

( ۱ ) حول مجموعة اللغات العربية القديمة (السامية) وتقسيمها وتفرعها وميزاتها انظر / د . جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء السابع ببغداد ۱۹۵۷ صفحه ۳۶ ،  
الشيخ نجيب وهبة من الساميين الى العرب بيروت ۱۹۲۲ - نولدكة اللغات السامية  
مترجمة ( د . رمضان عبد التواب ) .

## المبحث الثاني : عصور ما قبل التاريخ

وتشمل العصور الطويلة التي مرت على الانسان قبل اكتشافه الكتابة وسيلة للتلوين في اواسط الالف الرابع قبل الميلاد . وقد سبق ان ذكرنا في الفصل المخصص لعصور ما قبل التاريخ موجزاً لتلك العصور وتميزاتها الحضارية وقلنا بانها تشمل العصور الحجرية القديمة باطوارها المختلفة والعصر الحجري الوسيط والحديث والعصر الحجري المعدني ( او عصور ما قبل السلالات ) . كما ذكرنا بان اثار انسان العصور الحجرية في العراق قد اقتصر وجودها على القسم الشمالي من العراق الذي يضم بلاد آشور ايضاً لذلك لأن القسم الجنوبي من العراق (بلاد بابل ) لم يكن وقتذا صالحاً للاستيطان . وقد عثر في عدد من الكهوف والمغاور في المنطقة الجبلية على آثار انسان العصر الحجري القديم كما تم الكشف عن اولى مستوطنات انسان العصر الحجري الحديث في موقع جومر القريب من كركوك .

اما العصر الحجري المعدني ، والذى يقسم عادة الى عدة اطوار اطوار حضارية ، فقد تم الكشف عن آثار الاطوار الاولى في القسم الشمالي من العراق فقط ايضاً دون التجربة متمثلة بطور حسونه وسامراء وحلف . اما حضارة الاطوار الاخري التالية فكان منشؤها في القسم الجنوبي من العراق ومنه انتشرت الى الشمال ، وهي طور العبيد والوركاء وجمنة نصر . وقد سبق أن تحدثنا عن هذه الاطوار في مكان آخر .

ولا تعرف هوية سكان بلاد آشور في عصور ما قبل التاريخ ، شأنها في ذلك شأن هوية انسان العصور الحجرية في مختلف بلدان العالم ، غير ان هناك بعض الاشارات في النصوص المسمارية المتأخرة الى ان السوباريين كانوا يقطنون المنطقة قبل مجيء الآشوريين وابتداء من مطلع الالف الثالث قبل الميلاد وكان العنصر الآشوري هو العنصر الغالب في المنطقة .

### المبحث الثالث : عصر ~~الملوك~~ السومرية - الأكادية .

يشمل هذا العصر الفترة من بداية العصور التاريخية وحتى سقوط سلالة اور الثالثة في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد ( حوالي ٢٠٠٦ ق . م ) . وقد اطلقنا عليه هذه التسمية نظرا لان المدن والمراکز الحضارية التي نشأت في بلاد آشور في في هذه الفترة ، كمدينة آشور ونينوى ومارى ، كانت واقعه تحت النفوذ الحضاري او السياسي للمرأکز الحضارية والدول التي قامت في القسم الجنوبي من العراق (بلاد سومر وآكاد) في نفس الفترة .

وإذا فترضنا بان بلاد آشور كانت في هذه الفترة واقعة تحت تأثير الحضارة السومرية بصورة عامة ، وأخذنا بنظر الاعتبار سنة التطور السياسي والاجتماعي ، يمكن القول بأن بلاد آشور كانت تعيش في هذا العصر حياة سياسية واجتماعية مشابهة الى حد ما الى الحياة التي مرت على بلاد سومر في عصور فجر السلالات وربما ، كان هناك سلالات محلية حاكمة في بعض المدن الآشورية ، كمدينة نينوى وآشور ، وقد تكشف لنا التنقيبات المقلبة عما يوضح لنا الوضع السياسي العام في البلاد في تلك الفترة .

وبقيام الدولة الأكادية في الجنوب انتهى عصر التجزئة والانقسام ، وهو عصر دويلات المدن السومرية ، وقامت في البلاد دولة القطر الموحدة التي ضمت تحت رايتها معظم ارجاء العراق القديم واجزاء من اراضي البلدان المجاورة . وطبعي ، وقعت بلاد آشور ذات الموقع الاستراتيجي المهم بالنسبة للدولة الأكادية ، تحت نفوذ الامبراطورية الأكادية السياسي والحضاري ، وتشير بعض المعلومات المتوفرة الى ان مدينة آشور كانت تمثل احد المراکز الادارية المهمة التابعة للسلطة الأكادية ، ولا يستبعد ان كان حكام آشور وغيرها من المدن الآشورية من العناصر الأكادية التي اعتمد عليها مؤسس السلالة الأكادية في ادارة شؤون بلاده ، وقد اظهرت التنقيبات التي اجريت في مدينة آشور ونينوى تأثيرات واضحة للنفوذ السياسي الأكدي في المنطقة . ففي نينوى عشر في الطفة السادسة من معبد الالهة

عشتر على اسطوانات حجرية منقوشة يكتابه من عهد الملك الأكدي نرام - سين حفيد مؤسس السلالة الأكادية كما عثر في نينوى ايضا على رأس رجل من البرونز المسبوك يظن انه يمثل رأس مؤسس السلالة الأكادية او حفيده . وعثر في الفترة الأخيرة عن طريق الصدفة في قرية بسطكى على تمثال من البرونز لشاب جالس يعود تاريخه الى عهد الملك نرام سن كما تشير الى ذلك الكتابة المنقوشة عليه (١) . اما في مدينة آشور فقد كشف عن عدد من النصوص القصيرة التي تذكر اسم الملك الأكدي ماتشتوسو ابن سرجون وعلى رأس دبوس من حجر الهمتait منقوش عليه اسم الملك ريموش . اضافة الى ذلك ، وكشف عن ابنية ضخمة في في مدينة آشور ترقى الى العصر الأكدي من بينها قصر واسع جوار زقورة الالهة الالله انليل ، يحمل طابعا اكديا شبيها بالطابع الذي يحمله الحصن الكبير الذي شيده نرام - سين في تل برانك في اعلى البابور .

ويبدو ان التأثيرات الثقافية الأكادية على بلاد آشور كانت قوية جدا الى درجة دفعت بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن الآشوريين الاولئ كانوا قد انحدروا من اصل اكدي . ولا تقتصر هذه التأثيرات على الطراز والاساليب الفنية المختلفة بل تتعداها الى اهم مظاهر المظاهر الحضارية وهو اللغة فالدراسات اللغوية تشير الى ان اللهجة الآشورية القديمة متأثرة الى حد بعيد باللهجة الأكدية القديمة وأن الشابه الموجود بين هاتين اللهجتين هو اكثرا من التشابه الموجود بين اللهجة الأكدية القديمة واللهجة البابلية القديمة .

ولعل من الامور الملفتة للنظر ان الآشوريين احتفظوا في العصور التالية بذكري طيبة للاقوام الأكادية بصورة عامة وللملوك الأكديين بوجه خاص حتى ان ان بعض الملوك الآشوريين العظام سموا انفسهم باسماء الملوك الأكديين تيمنا بهم واجلالا لذكر اهم كالمملكة سرجون ، بينما يلاحظ ان نظرة السومريين

(١) حول اكتشاف هذا التمثال وترجمة النص المدون عليه انظر / د . طارق مظلوم دراسة تمثال اكدي من البرونز سومر ٣٢ (١٩٧٦) ٤١ - ٤٨ د . فوزي رشيد ، دراسة أولية لتمثال بسطكى ، سومر ٣٢ (١٩٧٦) ٤٩ - ٥٨

والبابليين نحو الاكديين بعد سقوط الدولة الاكادية كانت نظرة عداء واضحة . وقد فسر البعض ذلك بأنه ناتج عن رغبة ملوك الاشوريين ب بصورة عامة الى السياسة المركزية التي اتبعها ملوك الدولة الاكادية ويبدو هذا الميل واضحا في سياسة الملوك الاشوريين ومحاولاتهم المستمرة الى اتباع نفس النهج في توحيد البلاد تحت حكم سلطة مركزية واحدة يقابل ذلك نظام دوبيلات المدن الذي ساد القسم الجنوبي من العراق في عصور فجر السلالات وعصر التجزئة الذي اعقب سقوط سلالة اور الثالثة .

وعندما انهارت الدولة الاكادية امام جموع القبائل الكوتية الهمجية القادمة من المنطقة الجبلية الشرقية ، لابد وان اصاب بلاد آشور ما اصاب بلاد سومر واكد واكد من تدمير وتخريب : بل عشر فعلا على اثار تدمير وتخريب في الطبقات السكنية التي تعود الى هذه الفترة في كل من مدينة نينوى وآشور . وربما سلك الكوتيون الطريق المار ببلاد آشور اثناء هجومهم على بلاد سومر واكد . ولا يعرف هل ان بلاد آشور وقعت تحت النفوذ الكوتي المباشر . او انها استغلت الفرصة وانسلخت عن تبعية الجنوب لفترة ما واقامت لها سلالة حاكمة محلية . وظلت بلاد آشور خاضعة لتأثيرات التطورات السياسية في القسم الجنوبي من البلاد . فيبعد ان قامت سلالة اور الثالثة ( ٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق . م ) بتأسيس امبراطوريتها السومرية الاخيرة ، وقعت بلاد آشور ثانية تحت نفوذها السياسي والثقافي . وكان حكام آشور من الحكام التابعين لملوك سلالة اور الثالثة وقد امكن التعرف على اسماء بعض هؤلاء الحكام منهم الحاكم زريقم الذي قام بتشييد معبد الالهة الملقبة « سيدة القصر » من اجل حياة سيده امار - سن ملك اور . وظلت بلاد آشور خاضعة سياسيا لنفوذ سلالة اور الثالثة حتى انهيار وسقوط اور على ايدي الاقوام العيلامية من الشرق والامورية من الغرب .

ويبدو ان آشور استغلت فرصة الارتكاك السياسي الذي حل ببلاد بابل بعد سقوط سلالة اور الثالثة وقيا عددا من دوبيلات المدن في انحاء القطر ، فانسلحت عن سيادة دول الجنوب واقامت لها سلالة وطنية حاكمة اعتبرت بداية للعصر الاشوري القديس .